

القَسَم في الجزء الثلاثين - اللقاء الخامس

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2023-09-25

عمان

الأردن

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علَّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً، يا رب العالمين وبعد:

هذا لقاؤنا الأخير من لقاءات القَسَم في الجزء الثلاثين من كتاب الله تعالى، وكنا بمعيتكم نتتبع السور القرآنية والآيات القرآنية في الجزء الثلاثين التي جاء فيها قسم من الله تعالى بشيء من مخلوقاته لنربط بين القسم وجوابه، وننظر في هذا الأسلوب القرآني الماتع والجميل، وبقي عندنا ثلاث سور في الجزء الثلاثين فيها قسم وهي السور الأخيرة (التين والعاديات والعصر).

السورة الأولى هي سورة التين، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَ⊓لتِّينِ وَ⊓لزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ(3)

قَسَم بأربعة أشياء: بالتين، بالزيتون، بجبل الطور في سيناء، بالبلد الأمين مكة المكرمة، جواب القسم:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ لَقَدْ خَلَفْنَا الْإِنسُنَ فِنَ أَحْسَنِ تَفْوِيمٍ [(4)



القَسَم الأول بالتين؛ والتين هو الشجرة المعروفة التي تؤكل، والزيتون الشجرة المعروفة التي تُعصر؛ تؤكل وتعصر، وهذا تفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- ومجاهد وغيره لما سئل: ما التين، والزيتون؟ قال: التين تينكم الذي تأكلون، و الزيتون زيتونكم الذي تعصرون، ربنا -عزَّ وجلَّ بفت نظرنا للتين والزيتون، لكن لا يمنع أن يقال: إن التين والزيتون موطنهما هو بلاد الشام وفلسطين على وجه التحديد وما حولها مما بارك الله تعالى فيه من الأرض، فهاتان الثمرتان لهما موطن، فلا يمنع- لاسيما أن بعد ذلك إشارة إلى الطور في سيناء و إشارة إلى البلد الأمين مكة المكرمة-،لا يمنع أن يقال: إن في القسم بالتين والزيتون إشارة إلى موطن التين و الزيتون، والزيتون شجرة مباركة وصفها فلسطين وبيت المقدس التي بارك الله بها وبارك حولها، أي لا يمنع هذا من ذاك، هو قسم بالتين والزيتون وإشارة إلى موطن التين و الزيتون، والزيتون شجرة مباركة وصفها القرآن الكريم بأنها شجرة مباركة، والنبي- صلى الله عليه وسلم- كما في المستدرك على الصحيحين بسند صحيح، قال:

{ كُلوا الزيتَ والَّهِنُوا بِه؛ فإنَّه من شجرةٍ مُباركةٍ }

(أخرجه الترمذي عن عمر بن الخطاب)

فأوصى بزيت الزيتون، وكما تعلمون إلى أمد ليس ببعيد كثيراً كان كثير من الأطباء يوصون بالابتعاد عن زيت الزيتون، وتكون الإعلانات غالباً للزيوت الخفيفة؛ زيوت النخيل، والذرة وغير ذلك على اعتبار أنها خفيفة، وأما زيت الزيتون فزيت ثقيل ويسبب أمراضاً وكذا، ثم تراجع كل من قال ذلك عن قوله، وتبين أنها كانت دعاية رخيصة للبعد عن المصدر الحقيقي للزيت، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يوصي بأكل الزيت، وما قال: اشربوه لما فيه من فوائد جمة، فهو طعام، وإدام (كُلوا الزيت وادَّهِبُوا بِه؛ فإنَّه من شجرةٍ مُباركةٍ) فالإشارة إلى التين وهو ثمرة من ثمار الجنة، والزيتون وهو شجرة مباركة من الأشجار التي ورد ذكرها في سورة النور، وفي سورة المؤمنون:

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَشَجَرَةً تَحْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تنٰ∏بُكْ بِ∏لدُّهْنِ وَصِيْغِ⊟ لِّلْءَاكِلِينَ (20)



كل بلاد الشام بوركت بيركة بيت المقدس

إلى غير ذلك من الإشارات إلى الشجرة المباركة التي هي شجرة الزيتون، كل ذلك يوحي بأن القسم بهاتين الشجرتين و بتلكما الثمرتين قسم له أهمية، وكذلك موطنهما وهو بلاد الشام التي هي فلسطين كمركز لبلاد الشام لأن فيها الأقصى الذي تشد إليه الرحال، وما بارك الله من حوله من هذه البلاد المباركة في الأردن وفي دمشق و سوريا وفي جزء سابقاً من بلاد الشام كان جزءاً من العراق، فكل بلاد الشام بوركت ببركة فلسطين، وببركة بيت المقدس، أيضاً ذلك مؤذن بالقسم بمنبت هاتين الشجرتين، أما سابقاً من بركة بيت المقدس، أيضاً ذلك مؤذن بالقسم بمنبت هاتين الشجرتين، أما (طور سينيز) سينيز هو سيناء، وقيل: هو المكان المثمر الطيب المبارك في لغة ما من اللغات كما فسرها بعض أهل التفسير، والطور هو الجبل (جبل الطور) فهذا الجبل الذي كلّم (طور سينيز) سينيز، فوسم الله بهذا المكان إذ كان فيه نزول الوحي على موسى -عليه وعلى السلاء وبلاد الشام كانت أيضاً في إشارة التين وإلى الوحي على موسى -عليه وعلى السلاء وبلاد الشام كانت أيضاً في إشارة التين والزيتون مبعث عبسى -عليه وعلى نسلام وسلاء وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-، وأحسن الله المناد أن المخلوفات كلها؛ منهم من يمشي في أحسن تقويم، وأحسن على رأحسن على رأحس، أنه حركة من من التفسيل على وزين أفعل؛ على أحسن تقويم، سواء في تقويمه على رأحس، أنه وهيه المعالج الذي يعالج تلك المُدخلات، ثم وهيه الفكر الذي بنتج المعلومات الصحيحة التي تفيد الإنسان في أحسن تقويم أو كان التقويم الذي هو تقويم نفسه بحيث أصبحت نفسه مهامة لقبول منهج السماء، فإذا نظرنا إلى هذا القسم بهذا المعنى واستعمره الله تعالى له من أصناف ليعمر حياته في حيات مناف ليعمر حياته بها، وهذا يكون في أحسن تقويم أو من تمام تقويمه، أن أن السابقي أن أن التقويم الذي والإنبيان في أحسن تقويم ألمن الإنسان مي أن أن المناقع المؤنية في الأرض، أو كان التقويم أو كان التقويم الذي طوطيع، فوائد بالمنه على الإنسان حتى أدل النبيان إشارة إلى من ألم تقويم فسخر له النبي والزيتون، وأنزل عليه المؤياء أن أحسن القويم أن أن النبياء أحسن القويم أن السابة ألم المؤا علم المنهج هو الذي كان في طور سينين لقوم موسى -عليه وعلى نبينا فضل الصلام واليه والله عليه والمأدا عيسه أن قلنا بمنبت النبي والنبتون، وأنزل عليه المنهج الله السلام- في طور سنين إشارة لها، وهذا المنهج الله المنهج وملى الله عليه وسلم عنده،

يِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ رَدَدْنُهُ أَسْفَلَ شَفِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحٰتِ فَلَهُمْ أَجْرُ غَيْرُ مَمْنُونِ [(6)

إلا من قَبل المنهج ([الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ [الصَّلِحُتِ فَلَهُمْ أَجْرُ غَيْرُ مَمْنُون) أي غير منقطع، أجرهم مستمر إلى يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِ∐لَدِّين (7)

ما الذي يدفعك إلى التكذيب بدين الله -عزَّ وجلَّ- وقد جعلك في أحسن تقويم، وأنزل عليك المنهج، وخلق لك ما في السماوات والأرض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْخُكِمِينَ (8)



الله تعلق حكم الحاكمين في الحسن تقويم بلى فهو أحكم الحاكمين في خلقه، وهو أحكم الحاكمين-جلَّ جلاله- في منهجه، التين والزيتون إشارة للخلق، والتين والزيتون بمنبتهما، و طور سيناء بما نزل فيه من منهج، وهذا البلد الأمين بما نزل فيه من منهج، أحكم الحاكمين لمنهجه -جلَّ جلاله-فمنهجه كله حكمة، فبهذا يتكامل القسم في سورة التين بحيث نفهم منه أن الله تعالى خلقنا في أحسن تقويم إذا نحن آمنا بالله تعالى، واتبعنا منهجه، و أخذنا ما وهبنا إياه من تين وزيتون وغير ذلك، فشكرنا الله على هذه النعمة ثم اتبعنا المنهج الذي جاء من الله تعالى، فنحن قد حققنا الخلافة في الأرض التي أرادها الله تعالى، وإلا فللسافلين- والعياذ بالله-؛ هذه سورة التين، طبعاً علاقة المنهج بالخلق، ربنا -عزَّ وجلَّ- لما قال:

> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ [لُقُرْءَانَ (2) خَلَقَ [الْإِنسَاٰنَ (3)

(سورة الرحمن)

قال العلماء: لقد خلقه ثم علَّمه، لكن الآيات علَّمه ثم خلقه، قدَّم التعليم على الخلق، قالوا :هذا تقديم رُتبي لا زمني، بمعنى أنه لا معنى لوجود الإنسان على الأرض من غير منهج يسير عليه، فأنت إذا اشتريت آلة بالغة التعقيد غالية الثمن، فإن التعليمات التي تأتي معها أهم منها؛ لأنك إن استخدمتها دون تعليمات أعطبتها، وإن تركت استخدامها عطلتها، فلا بد أن تستخدمها مع التعليمات من أجل أن تنتفع منها وألا تعطبها، فالإنسان أعقد آلة في الكون، فإذا أراد أن يستخدم ذاته في الأرض؛ فإما أن يستخدمها في طاعة الله وفق المنهج فيَسعد ويُسعد، أو أن يتركها هملاً فيشقى ويشقي، فإذاً المنهج أهم من الخلق، لذلك جاءت الإشارة إلى المنهج بطور سيناء وبالبلد الأمين، وحتى بالتين والزيتون من خلال منبته؛ هذه سورة التين.

وأما السورة الثانية التي فيها قسم فهي سورة العاديات، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَ∏لْغُدِيٰتِ ضَبْحًا (1)

والعاديات/ هي الخيل التي تعدو فسميت عاديات لكثرة عدوها تركض، تعدو فسميت العادية، وهي تضبح بمعنى أنها تصدر صوتاً يشبه ما نسميه في العامية: يلهث الإنسان؛ صوت الركض والعدو فتضبح فيصدر لها صوت بسبب عدوها.

> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَ∐ْلُمُورِيٰتِ قَدْحًا (2)

هي عندما تعدو هذا العدو السريع تصطك سنابكها بالحجارة وبالأرض فتوري أي تشعل النار، تقدح لشدة عدوها يقدح النار عند اصطكاك سنابكها بالحجارة (فَا ۖلْمُورِيُتِ قَدْحًا)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَ∐ْلُمُغِيرُتِ صُبْحًا (3)

تُغير عند الصباح على الأعداء، فالجيوش غالباً تُسيّر ليلاً، فإذا أصبح القوم وجدوا القوم قد أغاروا عليهم، يسيرون ليلاً ويصبحون عند الأعداء، (فَ⊓**لْمُغِيرُتِ صُبْحًا)** تغير على الأعداء صبحاً

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ فَأَثَرْنَ بِهِ□ نَفْعًا (4)

> > بهذه الخيل نثير النقع، والنقع هو الغبار، غبار المعركة عندما تركض الخيول تثير النقع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَوَسَطْنَ بِهِ∏ جَمْعًا (5)



عندما تركض الخيول تثير النقع

وهذا النقع أحيانًا يوهم الأعداء بكبر الجيش، كانوا يستخدمونه كحيلة من الحيل الحربية فيسيرونها كثيرًا حتى تُثير نقعاً أكبرن فيظن الرائي من بعيد أن الجيش عرمرم وكبير، (فَوَسَطْنَ بهِ اَخَمُعًا) فتتوسط تلك الخيول الجموع فتنزل وتجالد وتحارب عن صاحبها الذي يجلس فوقها ويديرها، لو تأمل الإنسان في هذه الصورة، والعربي عندما نزلت هذه الآيات يدرك هذه الصورة تماماً، نحن اليوم بسبب المدنية، لكن حياة الصحراء هذه الصورة يتخيلها أمامه وكأنها تصوير، وهذا ما دفع سيد قطب -رحمه الله -إلى تأليف كتابه الشهير ((التصوير الفني في القرآن)) لأنه يصور لك المشهد و كأنك تراه بالعبارات التي يأتي بها، فأنت تتخيل هذا المشهد ثم يأتي إلى بالك سؤال، ما الذي يدفع تلك الخيول إلى أن تفعل ما فعلت؟! حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، لماذا تعدو الخيل؟ أنا عندما أركض يكون هناك شيء ينتظروني أو عدو أخافه أركض، يقول لي إنسان: استعجل عندي شيء موعد، فأركض بهدف، أو يركض ورائي إنسان فأركض هرباً منه، فالإنسان يتحرك أركض يكون هناك شوي إنسان فأركض هرباً منه، فالإنسان يتحرك وبعدو بناءً على هدف معين، ما الذي يدفع هذه الخيل للعدو إلا أنها تكون في خدمة صاحبها، ما الذي يدفعها أن تعدو إلى درجة أن توري القدح بسنابكها؟ ما الذي يدفعها -وهذا الأهم- أن تُغير صبحاً على الأعداء؟ وهل هؤلاء أعدائها؟ وهل فعلوا معها شيئاً حتى تغير عليهم؟ لا والله، إنما هي تفعل ذلك نصرة لصاحبها الذي كان يرعاها ويقوم على شأنها ويطعمها ويسقيها، فهي وفية معه، تقوم بذلك وفاء له، ما الذي يدفعها أن تؤير بسهم يأتي من هنا أو من هناك؟ كما قال هذا الشاعر العربي عنترة، قال:

دخل السهم القنا بلبانه هنا في رقبته -الخيل-، فالخيل ما الذي يدفعها أن تقف بين الجموع وتجاهد عن صاحبها، حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل-كما يقال-، لكنها إنما تفعل ذلك كله وفاء لصاحبها الذي رعى لها حقها يوماً، وأطعمها وسقاها وأعطاها الذي تريده فجاءت وفاء لصاحبها، والخيل من سماتها الوفاء. { الخيل مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرِ إلى يوم القيامة: الأجر، والمَعْنَم }

(متفق عليه عن ابن عمر، وهذا لفظ البخاري)

جاء جواب القسم مفاجئاً وصاعقاً للإنسان عندما ينظر إلى هذه الصورة المهيبة في وفاء الخيل، ثم يقرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ الْإِنسُنَ لِرَبِّهِ الْكَنُودُ (6)



لكنود هو الذي بعدّ المصائب وينسي النعم

لم يكن وفياً مع خالقه، ولا مع من أمده بحاجاته، ليته كان وفياً كوفاء تلك الخيول، الخيل آية من آيات الله، لما أراد الله تعالى أن يملكها صاحبها وجعلها مسخرة له قامت بواجبها على أتم قيام، فهل قمت بواجبك تجاه ربك؟ (إِنَّ الْإِنسْنَ لِرَبِّهِ الْكَنُودُ) الكنود: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم، خاهل بحق ربه، جاحد لنعم ربه، ورد في تفسيرها: يعد المصائب وينسى النعم، فيقول لك: أنا ماذا أخذت من هذه الدنيا، أنا عشت حياتي مريضاً، أو أنا فقير، أو أنا لا أجد مثل ما يجد الآخرون من سيارات وبيوت فارهة، هذه الدنيا لهم نحن لم نأخذ منها شيئاً، فينسى يقم الله تعالى عليه، وبعد المصائب التي جاءته؛ فهذا كنود، فالكنود هي صيغة مبالغة من كند الإنسان إذا أنكر نعم الله تعالى عليه، وبعد العيل وتعلم منها، فهذه الحيل سحّرها الله لك فقامت بمهمتها، وسحّرك الله له فهل قمت بمهمتك، فالماء للنبات، والنبات للحيوان، عليه، ولم يشكّر الله تعالى عليها، فانظر إلى الخيل وتعلم منها، فهذه الحيل سحّرها الله لك فقامت بمهمتها، وسحّرك الله له فهل قمت بمهمتك، فالماء للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن؟ إنه لخالقه-جلَّ جلاله-إلّا لله، فما جعلك مسحّراً لمخلوق من مخلوقاته، نحن لم نُسحَّر بل شحَّر لنا، نحن لا نؤكل لكننا نأكل، نحن لا تُرمى لكننا عند الوفاة ندفن دفناً شرعياً، نحن لنا كل المكانة وكل التكريم، كسر عظم الميت ككسره حياً، رعى الله الإنسان في حياته وبعد موته، هذا بخلاف التصرفات التي لا ترضي الله الإنسان في القرآن -وقلت ذلك سابقاً- لم يُمد خلاف المؤمن يُمدح، لكن الإنسان وفق قبل أن يتبع على إنسانيته، له صفات لا ترضي الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إنَّ ∏ْلْإنشٰنَ **خُلِقَ هَلُوعًا (19)**

(سورة المعارج)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ الْإِنسُنَ لِرَبِّهِ الْكَنُودُ (6)

(سورة العاديات)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ الْإِنسُنَ لَفِى خُسْرٍ (2)

(سورة العصر)

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ كَلَّاۤ إِنَّ ∏لْإِنسُنَ لَيَطْغَتْ (6)

(سورة العلق)

فهو إن ترك نفسه، وقد كرمه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِ**تَ ءَادَمَ وَحَمَلْنُهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** وَرَزَقْنُهُم مَّنَ الطَّيَّبُتِ وَفَضَّلْنُهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍا مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70) (سورة الإسراء)

لكنه إن ترك نفسه لشهواته فليس مكرماً عند الله، لكنه إن استجاب لنداء ربه ونداء فطرته ولنداء عقله فهو مكرم عند الله، فهو المؤمن، وهو الرباني، وهو الشكور، وهو المحسن؛ هذا هو الممدوح في القرآن الكريم، **(إِنَّ الْإِنسْنَ لِرَبِّهِ الْكَنُودُ)**

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَإِنَّهُ∏ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7)

> > يشهد على كنوده بأعماله، أعماله تشهد عليه، وهو يشهد على كل كنوده يوم القيامة أمام ربه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **وَإِنَّهُ** ا**لِحُبِّ** ا**لْحَيْرِ** لَشَدِيدٌ (8)

أى المال.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ∏لْمَوْتُ **إِن تَرَكَ خَيْرًا ۤ الْوَصِيَّةُ لِلْؤلِدَيْنِ** وَۤۤۤۤۤۤڵَفَّتَرِينَ بِۤۤۤۤالْمَعْرُوفِ ۤۤۤ حَقًّا عَلَى آلْمُتَّقِينَ (180)

(سورة البقرة)

فالمال يوصف بأنه الخير (وَإِنَّهُ ال لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي اللَّهْبُورِ (9) وَحُصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10)

مما أخفاه الإنسان من النوايا والبواعث.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ ۗ لُخَبِيرٌ ۗ (11)



ولما السورة الأخيرة في موضوع القسم في القرآن في هذا الموضوع الجميل والشائق فهي سورة العصر، وقد تحدثنا عنها مراراً لكن إتماماً للبحث نقول: إن الله تعالى أقسم للإنسان بالعصر، والعصر هو الزمن، وقال بعضهم: إن العصر هنا هو عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ كان عصره مستخدماً في أروع استخدام؛ أي لو جئنا بثلاث وستين سنة لأي إنسان فإن أعظم من استخدم ثلاثاً وستين سنة في الأرض هو رسول الله -صل الله عليه وسلم-، هدى أمة بأكملها، انتشر هديه في الخافقين إلى يوم القيامة، لكن العصر هو عموم الزمن على أرجح الأقوال.

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ (1)

والبعض قالوا: (وَالْعَصْرِ) هو وقت العصر، وصلاة العصر لأنها الصلاة الوسطى فأقسم الله بها، لكن لو أخذنا العصر على أنه مطلق الزمن، أي زمن يمضي فهو عصر ومنه وقت العصر، فإن اللهٍ تعالى يقسم بالزمن، لماذا يقسم بالزمن؟ لأنه يخاطب الإنسان، والإنسان في حقيقتهٍ زمن، فأنا أو أنت أو فلان من الناس لو كان قدره أن يعيش هذا العمرٍ فنقولً: إِنَّ فَلاناً أو ماتَ فبعد أَن يَموّت يمكنَ أن نَقولً: فَلان، من هو؟ هو تُلك الثمانوْن سَنة وَالتسعة أشَهر وعشرة أيام وأربع ساعات وحمس دقائق وَثلاث ثوانٍ؛ هذا هو، رأس ماله الزمن، والدليل أنه كلما مضٍ شيء من الزمن انقض بضع منه، لذلك قال الحسن البصري: "أيها الإنسان إنما أنت بضعة أيام كلما انقضى يوم أنقضى بضع **منك**" فَنحَن فَي الحقيقة زمن، فأقسم الله تَعالَى لَنا بمطلق الزَمن، وجواب القَسم متناسب مَّع القَسَّم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ الْإِنسُنَ لَفِى خُسْرٍ (2)



برنسان يحسر الشعائة وهو الرض لأنه يخسر الزمن، يخسر رأس ماله، إذا تاجر رأس ماله مليون دينار، صار رأس ماله بعدما فتح محلاً وباع واشترى وصار له سنة يشتغل، صار بآخر شي خرجت الميزانية وجدنا صار رأس ماله ثمانمئة ألف، معنى هذا هو خسر لأنه خسر من رأس ماله، الآن إذا بقي مليون نقول: والله أنا لا خسرت ولا ربحت، الحمد لله أخرجنا رأس المال، المليون صاروا مليون ومئتين ربح، لما صارت الثمانمئة خسران لأنه يخسر رأس ماله، ويقول بعض السلف: تعلمت معنى سورة العصر من بائع الثلج لما سمعته ينادي: "ارحموا من يذوب رأس ماله"، فرأس مالنا هو الزمن ويذوب في كل لحظة، فنحن خاسرون إذاً؛ هذا الربط بين القسم وجوابه، لكن من ينجو من تلك الخسارة؟ هم أصناف أربعة اجتمعت فيهم تلك الأمور الأربعة معاً لأنها مكملة لبعضها، نحن قلنا معاً لأنها مكملة، وما قال تعالى: آمنوا أو عملوا وإنما:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحُتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ (3)

يعني فعلوا الأربعة معاً نجوا من الخِسارة، فلا يخلو حال إنسان مِنا أن يدقق فِي كل لحظة في حياته أن تكون حركته متوافِقة مع واحدة من هذه الأربعة؛ فإما أن تكون حركة إيمان (آمنوا)، وإما أن تكون عمل، وإما أن تكون دعوة إلى الله، وإما أن تكون صبراً، وهذا في كل لحظة من حياة المؤمن- ولا أبالغ- هذا المجلس مجلس إيمان حركة، هذه ليست خسارة، هَّذه النصفُ ساعة ِليسَّت خسارَة من حياتك، إذا أحَدَّهم قاعد مع أهله ليَست خسارة؛ لأنه عمل صالح يبتَّغي به وجه الله، يدخل السَّرور علَّى قلبهَم، يَتألف قلب بناته، يسمع منهن، يمازحهن، يحكي نكتاً بريئة حتى يحببهن بالبيت ساعة وساعتين وثلاثة، هذا عمل صالحً لأنه يصلح للعرضَ على الله لا يوجد فيه غلط.



ري*ضها وردي استعلى* بلحظة معينة كنت في مكان تكلمت بمعنى آبة كريمة سمعتها (وَتَوَاصَوُاْ بِالْحُوِّ) مررت في الطريق عرض شيء لا يرضي الله تعالى غضضت البصر عنه صبر عن المعصية، وقفت في الصلاة صبر على الطاعة، توفي صديق عزيز على قلبك صبرت على قضاء الله تعالى وقدره، فكل لحظة من لحظات حياتنا لا تخلو أن تكون واحدة من هذه الأربعة، لذلك كان بعض السلف يقولون: " لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم"؛ لأن كل حركة بحركات حياتنا إذا كانت إيماناً أو عملاً صالحاً أو دعوة أو صبراً، آمنوا الإيمان الذي يحملهم على طاعة الله، طلب العلم إيمان، الصلاة إيمان، العبل إيمان، الصبام إيمان، العمرة إيمان، أي شيء يقربك من الله بناء للإيمان؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

(عَمِلُواْ □لصَّلِحُتِ) أي عمل صالح يصلح للعرض على الله فهو عمل صالح، ما دام وفق منهج الله، نزهة وفق منهج الله عمل صالح، طعام طيب حلال من مال حلال، بسم الله وبآخره الحمد لله عمل صالح وفق منهج الله، (وَتَوَاصُوْاْ بِ الْحُقِّ) كهذا المجلس أمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يا أخي هذا لا يجوز لا يليق بك، أنت إنسان مؤمن، هذا القرض الذي أخذته رباً حرام (وَتَوَاصُوْاْ بِ الْحَقْبُر) أي صبروا على الايمان لأن طلب العلم يحتاج صبراً، وصبروا على الصالح، وصبروا على الدعوة إلى الله تعالى، فصار الصبر يشمل الثلاثة كلها، وصبروا على الطاعة، وعن المعصية، وعلى قضاء الله تعالى وقدره، فصار عندنا سورة العصر هي قسم بالزمن و جوابها هو خسارة الإنسان المحققة ما لم يستثمر وقته ولا يستهلكه، ولا يستثمر الوقت حقيقة إلا إن كان في طاعة الله، ولا يكون في طاعة الله إلا إن كان في أربعة أمور: و هي الإيمان والعمل والدعوة إلى الله والتواصي بالحق والصبر، وهذا هو أسلوب القسم في القرآن الكريم ووفق الله تعالى به وأعان، وأحمد الله تعالى إليكم وأشكر لكم حسن استماعكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.